

ذاكرة الترجمة الفورية

حاج أحمد بلعباس

معهد الترجمة، جامعة الجزائر 2

bellabes87@hotmail.fr

تاريخ الإرسال: 2019/01/24 تاريخ المراجعة: 2019/02/24 تاريخ النشر: 2019/06/30

ملخص:

إنّ الترجمة الفورية ظاهرة لغوية فريدة من نوعها، تفرض على صاحبها قيوداً خاصة؛ بحيث يترجم مصغياً إلى الحديث، وبالتالي فهو لا ينفكّ يبذل جهوداً ذهنيةً جهيدة، تتمثل في الإصغاء والتعبير الشفوي والنقل اللغوي والتنسيق التزامني. هذا وتكون الذاكرة حاضرة بنوعها في كلّ محطة من هذه المحطات؛ إذ تنسّق الذاكرة النشطة مع الذاكرة طويلة الأمد لما يكون الترجمان يُصغي ويُعبّر، وينتقل بين المرحلتين أو ينسّق بين الجهود. وعليه فإنّ فضلها لعظيم، فبدونها تتعطل العملية بأكملها. ولهذا ارتأينا أن نضعها تحت المجهر في هذه الورقة البحثية، بحيث نشرح مكونات الذاكرة استناداً إلى الأبحاث التي جاء بها علم الأعصاب، ثم نصف عملها أثناء الترجمة الفورية من منظور اللسانيات العصبية وعلم النفس اللغوي، وفي الأخير نستعرض الاستراتيجية القائمة على الذاكرة التي ينبغي للترجمان تبنيها عند أدائه الترجمة الفورية. ومنه يتشكل هيكل بحثنا من التمهيلات الآتية:

- تركيبة الذاكرة.
 - نموذج الترجمان المهاري (تصوّر لمهارات الترجمة الفورية بناءً على الأبحاث العلمية في هذا المجال وفي العلوم المحاذية له، مع إبراز دور الذاكرة فيه).
 - إستراتيجية تسيير الذاكرة خلال الترجمة الفورية.
- كلمات مفتاحية: الذاكرة، الترجمة الفورية، الإستراتيجية، النظريات، المهارات.

مقدمة:

إنّ الترجمة الفورية واحدة من النشاطات الذهنية المعقدة كونهما تتطلب من صاحبها أداء مهارتين متزامنتين، وبذل أكثر من جهد في الوقت نفسه؛ فعند أداء هذا النوع الترجمي يستند المترجمان أيما استناد إلى جهاز الذاكرة، وهو جهاز عجيب يشتغل وفق خيمياء مذهلة، لكنّ الذهول يشتد عند ممارسة هذا الفعل الخارق للعادة لأنّ المترجمان يوزع آليات ذاكرته على الإصغاء والترجمة الشفوية في نفس الوقت، فهو يقف في وضعية اتصالية ثنائية مؤدياً بذلك دور المتلقّي والمرسل في الوقت نفسه، وهي الوضعية التي تخالف منحنى الاتصال الطبيعي. وعليه تعددت مشارب البحث في هذه الظاهرة التي بزغت غداة محاكمة نورنبرغ Nuremberg بعدما عرفت عدة تجارب قبلية منذ ظهور فكرتها الأولى بمنظمة العمل الدولية سنة 1927م؛ غير أنها اعتمدت في المناسبات الدولية لجعل التواصل فعالاً أكثر، فهي ملائمة لمختلف الظروف ووسيط أن بين مختلف الشعوب وسبيل لحلّ الأزمات وفاعل في تطوّر القطاعات. هذا وتعتبر الذاكرة عنصراً جوهرياً وجب تسليط الضوء عليه بغية فهم نشاط الترجمة الفورية؛ ولذلك توجهت دراسات الترجمة نحو علوم الإدراك التي تفسر نشاط الإنسان الذهني في ضوء نتائج علوم الأعصاب واللسانيات والأنثروبولوجيا والفلسفة وعلم النفس. وعليه سنعرض في هذه الورقة البحثية كيفية التلاحق المعرفي بين دراسات الترجمة الفورية وعلوم الإدراك، ثمّ نقدّم وصفاً عن الذاكرة باعتبارها أهمّ الآليات المتدخلة في عملية الترجمة الفورية؛ وبعد ذلك سنوضح كيف تشتغل هذه الآلية أثناء أداء هذا النشاط، مقدمين في الوقت نفسه الذاكرة من أجل إنجاح أداء الترجمة الفورية.

1. دراسات الترجمة الفورية في ظل علوم الإدراك

نالت الترجمة الفورية اهتمامَ عدّة باحثين ينتمون إلى علومٍ مختلفةٍ كاللّسانياتِ العصبيةِ واللّسانياتِ الإدراكيةِ وعلمِ النفسِ الإدراكي. إذ يُعتبرُ بينتر Pinter أولَ ترجمانٍ ناقشَ أطروحةَ دكتوراه في هذا الاختصاص، وكان ذلك سنة 1969م؛ فقد تناولَ فيها موضوعَ القدرة على الاستماع والكلام في نفس الوقت معزّزاً دراسته باستطلاع ميداني يركّزُ إلى المقارنة بين الترجمة المحترفين والترجمة الطلبة¹. وتجدرُ الإشارةُ إلى أنّ بينتر حازَ على شهادته هذه في علم النفس، ليفتحَ بذلك المجالَ أمامَ علماء النفس وعلماء اللسان النفسي لإجراء بحوثٍ في مجال الترجمة الفورية، حيثُ درسَ بعدها عالما النفس الفرنسيان أوليرون Oléron ونانبون Nanpon ملامح النوع والكم للخطاب وترجمته في الظروف العادية معتمدين على تسجيلاتٍ لمؤتمرات اليونيسكو، كما أجريا تحليلاً لفقراتٍ مترجمة ترجمةً فوريةً متكوّنةً من كلماتٍ فرنسيةٍ يتراوح عددها من مائة وتسعة وعشرين كلمةً إلى مائتين وكلمتين، وعباراتٍ تتراوح بين ثمانية عباراتٍ، وتسع وأربعين كلمةً، ومفرداتٍ منفصلة².

هذا وقد دعا بانيث في مذكرته إلى البحث في مجال الترجمة الفورية في شقّها الذهني³ وسارَ على منواله كلٌّ من نيسر Neisser وويلفورد Welford في الستينات من القرن الماضي حينما راحا يعالجان القضايا الذهنية في تخصّص الترجمة الشفوية؛ كما ترجعُ أولُ دكتوراه ينجزها عالمُ نفسٍ إلى الباحث باريك Barik سنة 1969م وهو الذي أجرى تجاربَ على ترجمانين محترفين وطالبين في طور التكوين في تخصّص الترجمة الفورية ومزدوجي لسانٍ مفتقدين إلى الخبرة في الترجمة الفورية، حيثُ طلبَ من كلّ عيّنة أن تُترجمَ ترجمةً فوريةً خطاباً مرتجلاً ومحاضرةً عامّةً مُحضّرةً مُسبقاً وخطاباً رسمياً غير تقني ومقالاً غير تقني؛ ثمّ استنبطَ الأخطاء والحذف والإضافة في الترجمة⁴.

كما اهتمّ غولدمان إيسلر Goldman-Eisler بالتخطيط المفاهيمي للخطاب المترجل حيث درس الترجمة الفورية في شكلها البسيط وذلك عبر تسجيل الخطاب المترجم ودراسة الفارق الزمني بين الخطاب الأصل وخطاب الوصل⁵. هذا ووردت اكتشافات علماء النفس عامةً، ففي سنة 1976م استعرض عالم النفس جيرفير Gerver قائلاً ما معناه إنّ البحث في مجال الترجمة الشفوية لازال في محطّاته الأولى فهو يعتمد على الوصف لا على التجريب والتنظير⁶، وهو الذي أجرى تجربةً تعتمد على حساب نسبة الخطاب إلكترونيًا حيث طلب من خمسة تراجمة ترجمة خطاب اليونيسكو ومن خمسة آخرين ترديده ترديدًا فوريًا وأجرى مقارنةً بين العينتين. واهتمّ أيضًا بموضوع الضغط المتولد عن التركيز والانتباه أثناء الترجمة الفورية ممّا استدعى الاهتمام باستراتيجيات التعامل مع العبء الذهني. هذا وساهمت اللسانيات العصبية⁷ la neurolinguistique في فهم الفرق بين مزدوجي اللغة وأحادييها في كيفية تشكّل المعارف في المخّ ومعالجتها. فقد أثبتت الأبحاث العلمية في هذا المجال أنّ الفصّ الأيسر من المخّ هو المسؤول عن فهم اللغة والتعبير بها، بينما يشغل الفصّ الأيمن أثناء الترجمة الفورية للتعامل مع المعنى الضمني والجوانب التنغيمية. وما بهم معرفته عن إسهام اللسانيات العصبية في مجال الترجمة الفورية هو كيفية تفاعل شقيّ المخّ بعضهما مع بعض أثناء فهم الخطاب وترجمته خلال عملية الترجمة الفورية، وهو ما يُنبرإ إلى تسليط الضوء على الآليات المعقّدة التي تتدخل في هذه العملية. كما تستفيد الترجمة الفورية من نتائج اللسانيات العصبية في الجانب المرتبط باكتساب اللغة الأجنبية وتوجيه الترجمان إلى أهمّ العناصر اللسانية وغير اللسانية التي يجب أن يركّز عليها في مراحل معيّنة من فترة تدريبه، وهذا من أجل استيفاء متطلبات العملية الترجمية الشفوية وجعلها آليةً واكتساب السرعة في الأداء.

هذا وأظهرت الدراسة التي أنجزها كلٌّ من Gran وفابرو Fabro سنة 1988م نجاعة التنسيق بين مبحث الترجمة الفورية ومبحث اللسانيات العصبية في فهم عملية الترجمة الفورية، وذلك لأنها أظهرت كيف تعالج المشكلات الترجمية من زوايا مختلفة؛ فكلا المبحثين اهتمتا بوظائف العقلي وتفاعليها أثناء العملية الترجمية الشفوية وتمثلاتها في الدماغ في إطار عياد (دراسة الحبسة الكلامية وصعوبة القراءة...الخ)؛ فقد أجرى كلا الباحثين دراسة تجريبية قائمة على تقنيات مثل الاستماع المتزامن إلى خطابين مختلفين، والتنسيق بين الحركة والكلام، وإنجاز مهمتين مختلفتين في الوقت نفسه؛ وأرادا بذلك أن يعرفا كيف تؤثر هذه التقنيات على المخ؛ أي معرفة أية منها تساهم في اشتغال أحد فصّي المخ أو توقّفه. وقد كشفت هذه الدراسة نتائج مهمة، فمثلاً خلال الاستماع إلى خطابين مختلفين في وقت واحد يتدخل فصّي المخ بشكل متماثل، حيث يهيمن الفص الأيسر عندما يكون الاستماع للغة الأم، والأيمن عند الاستماع للغة الثانية؛ وهذه الظاهرة تبرز بشكل أكبر عند الطلبة المسجلين في السنة الرابعة في تخصص الترجمة الفورية مقارنة بالطلبة المسجلين في السنة الأولى في ذات التخصص. وقد اعتبر الباحثان هيمنة الفص الأيسر للمخ تغيراً استراتيجياً يحدث أثناء عملية الانتباه تستوجب عملية الترجمة الفورية المعقدة.

ويقول الباحثان في هذا الشأن ما معناه إن إسهامات اللسانيات العصبية في حق الترجمة الشفوية كانت عبر تسليط الضوء على التغيرات التي تطرأ على نشاط أدمغة مزدوجي اللغات في مراحل مختلفة من عملية تعلّمهم وتحصيلهم الكفاءات اللغوية وكذا أثناء تدربهم على الترجمة الشفوية. وعليه فإن هذه الأبحاث ذات قيمة تعليمية كبيرة، تساهم في دعم فرضية حتمية التدرج في العملية التعليمية حيث يُعاد في كلّ مرة انتظام وتمركز إستراتيجيات اللغة والانتباه في الدماغ انتظاماً وتمركزاً لا واعيين.

وفي موضوع فضل اللسانيات العصبية على الترجمة الفورية دائماً نواصل الحديث لكن هذه المرة نتوجه إلى باحثٍ آخر يُدعى بارادي Paradis، فهذا الأخير طوّر نموذجاً للترجمة الفورية وضّح فيه كيف يمكن أن تُساهم النتائج العلمية الخاصة بمعالجة المعلومات Information Processing (IP) في تطوير مفاهيم مثل انتظام اللغة وتمركزها في أدمغة مزدوجي اللغات، والتشريح العصبي، وآليات اللغة العصبية الفيزيولوجية، والذاكرة. وكان بارادي قد صمّم نموذجاً هذا بناءً على فرضيتين أتيا بهما باحثان آخران هما Subset وتريشولد Threshold. فقد وصف بارادي الترجمة الفورية وصفاً دينامياً مشيراً إلى تزامن عمليتي الفهم والتعبير اللغويتين، وشارحاً احتمالية حدوث تداخلات بينهما، ومُبرِّراً دور الذاكرة والكفاءة اللغوية في هذه العملية.

بيد أن هذا النموذج لقي انتقاداً في بعض جوانبه من السيدة موزر ميرسر التي رأت أنه غير قائم على التجربة الميدانية، غير أن بعضاً من الفرضيات التي أتى بها مهمة وتصلح للتجربة مثل فرضية تدخل فص المخ الأيسر في معالجة القواعد النحوية للغتين كلتاهما مهما كان نوع المهمة.

إن موضوع الذاكرة برز تقريباً في كلّ الأبحاث التي عالجت موضوع الترجمة الفورية، وعليه يمكن القول إنه لا يمكن وصف ظاهرة الترجمة الفورية بعيداً عن الذاكرة.

II. آلية الذاكرة

أول من أشار إلى وجود الذاكرة هو الباحث ويليام جيمس William⁷ Jaimes سنة 1890م في عمله الموسوم Principals of Psychology، وهو الذي اقترح صنفين من الذاكرة وهما: الذاكرة الأولية primary memory والذاكرة الثانوية secondry memory فالأولى نظام تُخزن فيه المعلومات تخزيناً مؤقتاً ثم

سرعانَ ما توجّه إلى الإدراك، أما الثانيةُ فنظامٌ مستدامٌ تُخزّن فيه المعلوماتُ لمدّةٍ طويلةٍ. وبعدَ ذلكَ توقّفَ البحثُ في مجالِ الذاكرةِ حتّى سنةَ 1949م، حينَ أحيى دونالد هاب⁸ Donald Hebb هذه الفكرةَ واصفًا نشاطَ الصنفِ الأوّلِ بالعقلي والكهربائي بينما رأى أنّ الذاكرةَ طويلةَ المدى ترتكزُ إلى روابطٍ كيميائيةٍ وعصبيةٍ دائمةٍ. أما بدايةً من سنةَ 1950م، توجّهَ الاهتمامُ إلى البحثِ في الذاكرةَ الطويلةَ المدى LTM، في حينَ أُهملت الذاكرةُ القصيرةُ المدى STM ليظهرَ الباحثُ الأمريكي بيترسون⁹ Peterson سنةَ 1959م معيّدًا الاعتبارَ للصنفِ الثاني بعدما درسَ ملاحظةَ نسيانِ المعلوماتِ لمجرّدِ سماعها بثوانٍ حتّى لو كانت بسيطةً؛ إذ اعتبرَ أنّ الذاكرةَ القصيرةَ المدى هي المسؤولةُ عن هذا النسيانِ المؤقّت، وفرّقَ بينها وبينَ الذاكرةَ الطويلةَ المدى في كونِ المعلوماتِ تزولُ سريعًا في النظامِ الأوّلِ إن هي لم تُكرّر، بينما تظلُّ مخزّنةً لمدّةٍ طويلةٍ في النوعِ الثاني.

أما مع مطلعِ الستينيات، طفا إلى السطحِ جدلٌ علمي، فهناك القائلون بأحاديةِ النظامِ من أمثال ملتون Melton فهؤلاء يرون أنّه لا توجدُ إلّا ذاكرةٌ واحدة؛ بينما الفريقُ الآخرُ يؤمنُ بوجودِ ذاكرتين. وفي أواخرِ تلكَ العشريّة، انتصرَ الرأيُ العامُ للموقفِ الثاني لما ظهرت عدّةُ نماذجٍ أهمّها ذاك الذي اقترحه كلاً من أتكينسون وشيفرين¹⁰ Atkinson et Shiffrin سنةَ 1968م، وهو النموذجُ الذي اشتهرَ باسمِ "النموذجِ المشروطِ" Modal Model، الذي يرى أنّ المعلوماتَ تنتقلُ عبرَ مجموعةٍ من الأنظمةِ المتوازيةٍ من أنظمةِ الذاكرةِ الحسيّةِ قبلَ أن تلجَ الذاكرةُ القصيرةَ المدى التي تتميّزُ بقدرةٍ تخزينٍ محدودةٍ حيثُ تُشَقَّرُ هذه المعلوماتُ وتعالجُ وتزولُ إذا هي لم تُكرّر. هذه الذاكرةُ تنقلُ المعلوماتَ إلى الذاكرةَ الطويلةَ المدى وتأتي بها منها. ويضيفُ صاحبها النموذجَ ما معناه أنّه وكّلما طال وقتُ الاحتفاظِ بالمعلوماتِ في الذاكرةَ القصيرةَ المدى كلّما زادَ احتمالُ نقلها إلى الذاكرةَ الطويلةَ المدى.

وفي بداية السبعينات، درس كلٌّ من ألان بادلي وغراهام هيتش Alan Baddeley et Graham Hitch¹¹ مشكلة النسيان المؤقت وأقاما تجربةً على عيّنة من الطلبة طالبين منهم حفظَ سلسلةٍ من الأرقام وفي الوقت نفسه إنجازَ مجموعةٍ من المهام كالتعلّم والتحليل والفهم؛ على اعتبار عملية حفظ الأرقام تُضعف نشاطَ الذاكرة القصيرة المدى ممّا يؤثرُ سلبيًا على العمليات الأخرى المشار إليها أعلاه؛ فيصبح هؤلاء الطلبة يشبهون إلى حدٍ كبير أولئك المصابين بخلل في الذاكرة القصيرة المدى، لأنّ بادلي وزميله استعصى عليهما إجراء التجربة على المصابين بهذا المرض العقلي. وبعد إعادة التجربة عدّة مرّات، تبين أنّه كلّما اتسع مدى سلسلة الأرقام المحفوظة كلّما قلّ أداء التعلّم والتحليل والفهم؛ ليقترح هذان الباحثان نظامًا جديدًا مركّبًا أسمياه "الذاكرة النشطة" working memory يعوّضان به نظام الذاكرة القصيرة المدى البسيط؛ إذ يقول بادلي في هذا الشأن:

« The tripartite model we proposed suggested that the system was controlled by a limited capacity attentional system, the *central executive*, aided by two slave systems, the *articulatory* or *phonological loop* which maintained acoustic or speech based information, and the *visuo-spatial scratch pad* or *sketch pad* which performed a similar function for visual and spatially encoded material. »¹²

ما معناه إنّ هذا النموذج متشكّل من ثلاثة عناصر وهي: الإداري المركزي الذي يُعتبر نظام انتباه ذا طاقة محدودة، يساعد نظامي آخري وهما: الحلقة الفونولوجية التي تخزن المعلومات الملتقطة عبر حاسة السمع والمفكرة البصرية الفضائية التي تخزن المعلومات التي تلتقطها حاسة الرؤية. والشكل الآتي يوضّح هذا النموذج.



الشكل رقم (01) يوضح مخططاً مبسطاً للذاكرة النشطة حسب بادلي¹³

وسنورد في ما يأتي تفصيلاً لهذا النموذج:

يتكوّن نموذجُ الذاكرة الذي اقترحه بادلي من ثلاثة عناصرٍ يكمن دورها

في ما يلي:

الحلقة الفونولوجية: la boucle phonologique : وتختصّ بالتخزين المؤقت للمعلومات اللفظية، تتركّب من مخزونٍ فونولوجي وسياقٍ تكراري لفظي، حيث يستقبل المخزون الفونولوجي المعلومات الملتقطة عبر حاسة السمع والتي تُخزّن على شكل رموزٍ فونولوجية في مدّة قصيرة جدّاً تتراوح من ثانية ونصف إلى ثانيتين، حسبما بيّنه كلّ من تومسون Thomson وبادلي، وتدرج باستمرار بواسطة آلية التكرار النطقي، أمّا إذا كان تقديم المادّة بصرياً، فتتمّ عملية التخزين بمرحلتين: المرحلة الأولى، يتمّ فيها ترجمة أو تشفير المادّة تشفيراً فونولوجياً بواسطة آلية التكرار اللفظي، ثمّ في مرحلة ثانية يتمّ تخزينها في السجلّ الفونولوجي أين تتمّ عملية التنشيط بواسطة نفس الآلية لأجل الاحتفاظ بالمعلومة لزمنٍ معيّن.

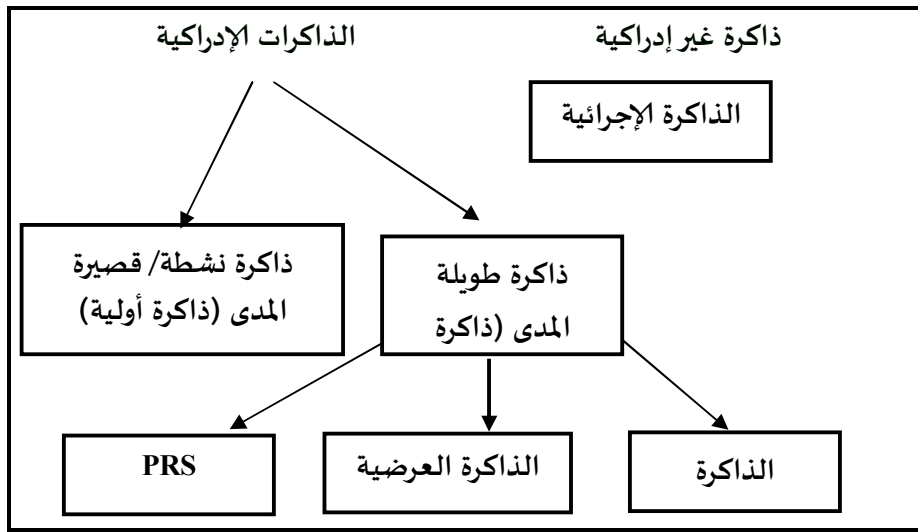
المفكرة المرئية-الفضائية: calepin visio-spatial : وهي المسؤولة عن التخزين القصير المدى للمعلومات البصرية الفضائية، إذ يملك هذا النظام في آنٍ واحدٍ وحدة التخزين البصري للصّور والأحداث ذات الطبيعة البصرية وآلية فضائية

تسمحُ بنوعٍ من البرمجة للحركات البصرية، بالإضافة إلى سياق تكرار حيوي نظير سياق التكرار النطقي.

الإداري المركزي: l'administrateur central : يشرفُ الإداري المركزي على النظامين السابقين (الحلقةُ الفونولوجيةُ والمفكرةُ الفضائيةُ البصريةُ)، ويعتبرُ نظامًا واعيًّا يعملُ على التنسيق بين عملياتِ الأنظمةِ التحتيةِ المتخصصةِ، كما أنه يُديرُ مرورَ المعلوماتِ بين هذهِ الأنظمةِ التحتيةِ والذاكرةِ الطويلةِ المدى، ويقومُ باختيارِ الاستراتيجياتِ الإدراكيةِ وربطِ المعلوماتِ بمصادرٍ مختلفةٍ، ويستطيعُ جزءٌ من قدراته المحدودة أن يؤثرَ في معالجةِ عملياتِ التخزينِ لتفاقمِ المعلوماتِ الممكنِ الاحتفاظَ بها في الأنظمةِ التابعة، كما قسَمَ بادلي سنة 1996م الإداري المركزي إلى مركّباتٍ تحتيةٍ إجرائيةٍ متخصصةٍ تتمثلُ مهمتها في التنسيق بين مهمتين منجزتين في آنٍ واحدٍ (وهو ما ينطبقُ على الترجمةِ الفوريةِ حينَ يؤدي الترجمانُ مهمتي الإصغاءِ والترجمةِ الشفويةِ في الوقتِ نفسه)، وتعديلِ استراتيجياتِ الاسترجاعِ من الذاكرةِ الطويلةِ المدى، والانتباهِ الانتقائي، وتنشيطِ المعلوماتِ في الذاكرةِ طويلةِ المدى.

فالذاكرةُ هي تخزينُ المعارفِ والمعلوماتِ التي يكتسبها الفردُ، واستحضارُها بواسطةِ نظامِ التشغيلِ بُغيةَ فهمِ الوقائعِ والأحداثِ والمعطياتِ والأقوالِ، والربطِ بينها، والتحقُّقِ مِنْ مدى تناسقِها وترابطِها وتسلسلِها، أو من أجلِ ترجمتها. هذا وتستدعي الترجمةُ الفوريةُ عملَ الذاكرةِ النشطةِ بشكلٍ كبيرٍ من أجلِ فهمِ المعنى، وذلكَ بربطِها بكلامٍ سابقٍ، إذ تُساعدُ هذهِ الذاكرةُ الترجمانَ على التحقُّقِ من مدى ترابطِ الكلامِ وتناسقِهِ وصلتهِ بالموضوعِ فهي تنسُقُ مع نظامِ "ذهاب وإياب" الثابتِ والذاكرةِ الطويلةِ المدى التي تنهَوِي بدورها عن طريقِ الذاكرتين العرضيةِ والدلاليةِ؛ حيثُ تسجِّلُ الأولى الأحداثِ والأشخاصَ والأماكنَ والصُّدَفَ وتَضَعُ المعلوماتِ في السياقين الزماني والمكاني، فهي مرتبطةٌ بالوقائعِ

السياقية وتُعتبر مُنمّا للوعي. أمّا الثانية فتجمع المعارف العامة عن العالم وتنظمها دون الأخذ في الحسبان وقت تشكيلها وظروفها، هدفها تسهيل عملية استرجاع هذه المعلومات (معلومات منظمة ومخزنة في درج تُستحضر عند الحاجة)، هذا التنظيم يدخل في نطاق الذاكرة اللفظية؛ حيث المعارف مجسدة في شكل لغة طبيعية أو صور ذهنية. وقد فصل أندرسون Anderson (1983) بين الذاكرتين اللفظية والإجرائية. فهذه الأخيرة تتدخل عند إنجاز أنشطة حسية- إدراكية وهي أقل عرضة للوعي، فمثلاً لا يمكن إلغاء مهارة تعلّمها. والشكل الآتي يوضح الذاكرة ومكوناتها.



الشكل رقم (02): الذاكرة ومكوناتها

وعرّف كلٌّ من كودريي Cauderier وغوناش Gaonac'h الذاكرة بما يلي:
 "هي نظامٌ يسمح بتشكيل معارف وحفظها بغرض استعمالها"¹⁴. هذا النظام يشتغل على النحو الآتي:

- أولاً: يخزن الدماغ المعلومة التي يستقبلها ثم يشقّها وفق منهج مُعيّن، هذا المنهج يجب على الدماغ استذكاره عندما يُستدعى لاسترجاع المعلومة لاحقاً؛ لأنّ طرائق التشفير متعدّدة، ممّا دفع بعلماء النفس إلى ربط تعدّد أنماط الذاكرة بتعدّد مناهج التشفير.

- ثانياً: يسترجع الشخص المعلومة المشقّة بواسطة عملية تتفاوت في مدّة إنجازها، ولهذا نتحدّث عن الذاكرة القصيرة المدى (الذاكرة النشطة) والذاكرة الطويلة المدى. وفي هذه المرحلة تتم أيضاً معالجة المعلومات وتحويلها بُغية ترسيخها في الذهن، ومن المهمّ هنا انتقاء آليات ترسيخ المعلومة في الذاكرة، واكتشاف الآليات التي تمسحها، وهو الأمر الذي يستدعي البحث في أسباب آفة النسيان المؤقت.

- المحطّة الأخيرة تتمثّل في عمليتي التحيين وإعادة التحيين؛ حيث يعتمد الفرد على معارفه السابقة فيقوم باسترجاع المعلومات مجتمعة ثم يغربلها حسب مدى ملاءمتها للموضوع وبعد ذلك يقدم إجابته.

يقول ديهايين Dehaene إنّ عملية تشفير المعلومة تتخذ أشكالاً متنوّعة، فمنها المرئية والسمعية والملموسة ... الخ، ممّا يؤدي إلى تعدّد أنواع الذاكرة¹⁵.

III. الترجمة الفورية والذاكرة

تؤدي الترجمة الفورية بثلاث مهارات أساسية وهي الإصغاء والترجمة الفورية والمزامنة، وكلّ مهارة أساسية تستوجب مهارات جزئية؛ فالإصغاء يتطلب التركيز أثناء سماع الخطاب وتحليل المعنى وفهمه وتصوّره والتنبؤ بما هو قادم من حديث؛ والترجمة الشفوية تستلزم التذكّر والترجمة والتعبير؛ بينما تتمثّل المزامنة في التنسيق الفوري بين الإصغاء والترجمة الشفوية عبر تسيير الجهد

تسييراً فعّالاً على هاتين المهارتين وما تحمله من مهارات فرعية. وفي كلّ محطة من هذه المحطات نلمس حضوراً للذاكرة مثلما سنوضحه أدناه.

1.III. الإصغاء والذاكرة

يُعتبر الإصغاء المحطة الأولى التي يمرُّ بها المترجم أثناء الترجمة الفورية، يعرفه دانيال جيل قائلاً:

« L'effort d'écoute et d'analyse est défini ici comme l'ensemble des activités mentales consacrées à la perception du discours et à sa compréhension.¹⁶ »

ومفاد هذا القول إنّ الإصغاء والتحليل مجموعة من الأنشطة الذهنية التي يسخرها المترجم لإدراك الخطاب وفهمه.

وتدخل الذاكرة هنا لإنجاز الأنشطة الذهنية المتمثلة في التركيز والتحليل والفهم والتصور والتوقع. يقول روبين سيتن Robin setton في هذا السياق ما يلي:

« But the ways we listen in everyday life are very different from the way we need to learn to listen as interpreters, and will not be able to support complete retelling even if our comprehension is 'complete'. Three every day approaches to listening are passive, superficial, or selective; interpreters must master a new and demanding listening skill that we call **Active Listening**. »¹⁷

بمعنى أنّ طريقة إصغاء المترجم تختلف عن طرق الإصغاء العادية التي - حتى وإن كانت تحقق الفهم الكلي - لا تسمح بنقل كلّ الأفكار التي يحتويها الخطاب، وهي تتمثل في الإصغاء الغير النشط والإصغاء السطحي والإصغاء الانتقائي، بيد أنّ المترجم ينبغي أن يتقن مهارة إصغاء من نوع آخر يتمثل في الإصغاء النشط.

والإصغاء النشط يستدعي في هذه الحالة جهودَ الذاكرة النشطة التي ينبغي أن تبقى متوقّدة حتّى نهاية الخطاب بهدف استقطاب كلّ الأفكار. كما يُعتبَرُ فهمُ المعنى الغايةَ الأسَى من عملية الإصغاء ولكي يفهمَ ينبغي أن يُحلَّلَ إلى عناصرَ نوويةٍ ويُربطَ بمخزونٍ ذاكري سابقٍ.

« Componential analysis of meaning assumes the possibility of a molecular approach to the meaning of the word, as if the whole meaning could be broken into separate semantic elements, atoms of meaning, whose combination results in the dictionary meaning of the word. These parts are variously called (by different authors) semes (Greimas 1966; Pottier 1974; Gak 1971/1972, 1977, 1983), semantic multipliers (Apresyan 1974), or semantic components. »¹⁸

ومفادُ هذا القولِ إنّ تحليلَ مكوّناتِ المعنى يستلزمُ فهمَ كلّ مفردةٍ على حدى، على اعتبارِ أنّ المعنى الكلّي ينقسمُ إلى عناصرَ دلاليةٍ جزئيةٍ تسمّى "نوى المعنى" والتي إن هي اتّحدتْ أفضتْ إلى المعنى السياقي. هذا وقد أطلقَ عدّةُ باحثينَ على هذهِ الجزئياتِ تسمياتٍ عدّةَ مثلَ "السماتِ" و"المضاعفاتِ الدلاليةِ" و"المكوّناتِ الدلاليةِ".

وهذا هو المنطقُ الذي جاءَ بهِ الغزالي الذي قالَ: "وكُلُّ نظيرٍ في شيءٍ مركّبٍ فطريقُهُ أن يُحلَّلَ المُركَّبُ إلى المفرداتِ، ويبتدئُ بالنظرِ في الأحادِ ثمّ في المُركَّبِ".¹⁹ أي إنّ فهمَ المعنى يستلزمُ تفكيكَ الجملةِ (المركّبِ) إلى مفرداتٍ، ثمّ تحليلَ تلكَ المفرداتِ إلى سماتها (خصائصها)، وبعد ذلكِ إعادةَ تركيبِ الجملةِ ودراسةَ مدى التوافقِ بين تلكَ السماتِ، فإن تحقّقَ هذا التوافقُ يستوي المعنى، وإن لم يتحقّقْ يشذُّ.

ولكي يُبنى المعنى يحدثُ تنسيقٌ بينَ الذاكرةِ طويلةِ المدى والذاكرةِ النشطةِ فالأولى تُعتبَرُ قاموسًا للترجمانِ وخزانًا لمعارفهِ والثانيةُ منبّهًا وزوّادًا له.

ولكي يكتمل المعنى في ذهن المستمع ينبغي اندماج المعارف المخزنة في الذاكرة الطويلة المدى مع المعارف التي تستقبلها الذاكرة النشطة، وحدث توافق بين المدخلات والمخرجات. وفي هذا الصدد تقول لوديرير ما يأتي:

« L'apparition des unités de sens chez l'auditeur dépend d'un certain nombre de paramètres : d'abord, les unités de sens se manifestent matériellement sous la forme d'un certain nombre de mots, la longueur de la chaîne dépendant de la capacité de mémoire immédiate et ne dépassant donc jamais de beaucoup six ou sept mots, soit en gros trois secondes. Ensuite, elles sont le produit d'une réaction entre la stimulation auditive ressentie par l'auditeur et les connaissances pertinentes que celle-ci éveille en lui, pour arriver en une synthèse du tout, à un sens qui lui permet d'oublier les mots entendus et d'entendre les ensembles suivants avec lesquels l'opération recommence sans relâche, chaque unité de sens s'enchaînant à l'autre et l'enrichissant son apport»²⁰

ومفاد هذا القول إن وحدات المعنى تتشكل في ذهن المستمع عبر سيرة مكوّنة من المراحل الآتية:

- تتجلى وحدات المعنى في شكل سلسلة من الكلمات يرتبط طولها بسعة الذاكرة النشطة، ولا يربو عددها كثيرًا عن ست أو سبع كلمات، فهي إذا تبرز في غضون ثلاث ثوانٍ.

- تتمخض وحدات المعنى عن التفاعل الذي يحصل بين المثيرات السمعية (المعارف الجديدة) التي يستقبلها المستمع ومعارفه السابقة الموائمة لهذه المثيرات.

- تحلّ وحدات المعنى هذه محلّ الكلمات المسموعة وتسمع للمستمع بمواصلة استجلاء وحدات جديدة، وهكذا دواليك.

- ترتبط كل وحدة من وحدات المعنى بصاحبها وتساهم في وضوحها.

يتمثلُ الفهمُ إذًا في التمثلاتِ المجردةِ التي تتكوّنُ في الذهنِ؛ إذ تضيفُ لوديرير قائلةً في هذا الشأنِ ما معناهُ "يختفي الكلامُ (الشفهي) وتختفي معه مفاهيمُهُ؛ لكنَّ المعاني تبقى راسخةً في ذاكرةِ أولئك الذين كانوا مركّزينَ على الخطابِ وتضيفُ قائلةً ما معناهُ: إذا كانت أصواتُ الكلامِ تختفي بسرعةٍ فإنَّ المستمعَ يحتفظُ بذكرى مجردةٍ " حالة الوعي بالفكرة أو الحدث الذي تم التطرق له" ²¹.

هذا ويلخصُ الباحثُ كلارك Klark عمليةَ الفهمِ في خمسِ خطواتٍ نعددها كالآتي:

1. استقبالُ المعلوماتِ المسموعةِ والاحتفاظُ بها في الذاكرةِ النشطةِ لتحليلها إلى مكوناتٍ جمليةٍ.
2. تحليلُ الكلامِ المتواجدِ على مستوى الذاكرةِ النشطةِ إلى أجزاءٍ جمليةٍ تمهيداً لترميزها واستقبالِ معلوماتٍ أخرى.
3. تحويلُ أجزاءِ الجملةِ إلى معانيٍ عبرَ عمليةِ الترميزِ واستمرارِ المرحلتين الأولى والثانيةِ.
4. تحقيقُ معنى الجملةِ الشاملِ عبرَ تجميعِ المعاني التي تحملها أجزاءُ الجملةِ.

هذا وتؤدي الحلقةُ الفونولوجيةُ دورًا مهمًا في عمليةِ الفهمِ، فعندما تردُّ إليها المادةُ اللفظيةُ من القناةِ السمعيةِ، تُحلَّلُ إلى وحداتٍ فونولوجيةٍ وهو ما يُعرفُ بفكِّ الترميزِ الذي يسمحُ للفردِ بالتعرُّفِ عليها، ثمَّ تُحوَّلُ إلى سجلِّ التخزينِ الفونولوجي أينَ يتمُّ تخزينُها لفترةٍ وجيزةٍ لا تريبو كثيرًا عن ثابنتين، بعد ذلك تزولُ وتُمحى من الذاكرةِ، ولكن احتمالَ الاحتفاظِ بها يبقى قائمًا وذلك عبرَ إعادةِ تنشيطها بواسطة التكرارِ اللفظي وترميزها فونولوجيًا. ومن هنا تكمنُ أهميَّةُ

الحلقة الفونولوجية في عمليتي الإدراك والفهم ولاسيما ما تعلقَ بالجميل الطويلة والمعقدة.²²

ونظرًا إلى كلّ هذه الاعتبارات تُجهدُ الذاكرةُ النشطة خاصةً إذا طالت مدّة الخطاب. يقولُ جيل في هذا الشأن ما يأتي:

« L'effort d'écoute et d'analyse est défini ici comme l'ensemble des activités mentales consacrées à la perception du discours et à sa compréhension. Il s'accroît quand augmentent la densité informationnelle du discours ou sa technicité, quand se dégradent les conditions d'écoute, quand le langage de l'orateur s'écarte de la norme. »²³

ولكي يكونَ الفهمُ فعالاً يلجأُ المترجمُ إلى مهارة التصوّر، إذ تقولُ سيليسكوفيتش Seleskovitch ما معناه إنّ كلّ إدراكٍ حسيّ دقيقٍ مرتبطٌ برسمٍ خيالي واسعٍ²⁴ وينتجُ عن هذه الصلة الفهمُ والتذكُّرُ في آنٍ واحدٍ. كما أنّ تفاصيلَ الإدراكِ الحسيّ هذا من أشياء وكلامٍ تختفي، لكن تبقى فقط ذكرياتٌ عن ما تمّ فهمه.

وفي هذا السياق تقولُ سيليسكوفيتش ما يأتي:

« Parmi les premiers moyens qu'il convient de recommander aux étudiants pour les concentrer sur le sens et les empêcher de s'attarder sur les mots, figure la visualisation. Voir mentalement un objet ou imaginer les aspects d'un événement dont on entend la description c'est en entendre le sens. L'image que les étudiants se feront des événements narrés dans le texte leur permettra de moins écouter les mots et de s'exprimer à partir de leur vision des choses. »²⁵

بمعنى أن التصوّر وسيلة تجعل الطالب يركّز على المعنى ويتخلّص من شبح الألفاظ، فهو بذلك يكون في ذهنه صوراً عن الأشياء والأحداث التي يسمعها ما من شأنه أن يجعل تركيزه على سماع الكلمات يقل، وتعبيره ينطلق من رؤيته لهذه الأشياء. ولهذا وجب تعويد الطلبة على هذه المهارة منذ المراحل الأولى من التكوين.

هذه العملية تؤدي إلى ظاهرة التجرد اللفظي la déverbalisation التي دعت إليها سيليسكوفيتش في نظريتها التأويلية التي ترى من خلالها أنه على المترجم والترجمان أن يتناسا شكل ألفاظ وتراكيب وصيغ اللغة الأصل ويحتفظا فقط بدلالاتها، لأن اللغات تختلف في هندساتها؛ ومنه إن تركيز المترجم أو الترجمان على شكل اللغة التي يقرأها أو يسمعها من شأنه أن يؤدي إلى التداخل اللغوي أثناء الترجمة. هذا وتعتمد مهارة التصوّر على الذاكرة، فهو كما عرفه دروزة عملية عقلية تتعلق بتكوين صور ذهنية للأشياء أو الأحداث المتعلّمة وهو بذلك يساعد على تخزين المعلومات في الذاكرة واسترجاعها عند الحاجة وقد تتضمن صوراً أو أشكالاً أو بيانات أو أي شيء ذي شكل مرئي. (دروزة، 2004، ص40)²⁶ "وهو عملية بنائية تتكامل فيها الخبرات السابقة والصور المخزونة في الذاكرة الطويلة المدى مع المثيرات الحالية التي تحيط بالفرد؛ وفي هذا المجال يقول أرسطو لا يفكر الإنسان إلا مستعيناً بالصور الذهنية."²⁷

يمكن القول إذاً إن الذاكرة مسؤولة على عملية التصوّر، حيث تستقطب الذاكرة النشطة الألفاظ وتحولها إلى صور وترسل هذه الصور إلى الذاكرة طويلة المدى حيث تُخزن. وفي هذه الحالة ترتبط الألفاظ بالصور مما يساهم في نجاعة حفظها لأنه كلما تعددت طرائق التخزين زادت فعاليتها. ولما يشرع الترجمان في الترجمة تسهل عليه عملية التذكّر يصبح يعبر انطلاقاً من

الصورة التي تغدو لغةً وسيطةً يمكنُ لهذا الأخير أن يُعبّرَ عليها بأيّ لغةٍ شاء وهو ما يجنبه الوقوع في شرك التداخل اللغوي.

يعيشُ المترجمُ أثناء الترجمة الفورية تحت ضغطِ الخطاب، فهو مجبرٌ على مسايرة الخطيب ولهذا لابد أن يكتسب مهارة التوقع التي تسهلُ عليه هذه العملية؛ إذ يقولُ الباحثُ الروسي في هذا الشأن ما يلي:

« Our hypothesis is that the basic mechanism making SI possible is the probability anticipation of the development of the message. »²⁸

ما معناه إنَّ أهمَّ آلية تجعل الترجمة الفورية ممكنة هي أن يتوقع المترجمُ ما سيقوله الخطيبُ أثناء حديثه. ونحن نعتقد أنَّ ما دفع تشرنوف إلى الإدلاء بهذا التصريح هو فكرة "قصور الذاكرة النشطة" التي لا تتحمل عبء المعلومات التي تستقبلها من الخطاب خاصةً إذا كان يزخر بالجميل الطويلة والمعقدة. هذا وتتدخل الذاكرة النشطة في عملية التوقع هذه.

« Du point de vue de la théorie de l'information, la compréhension d'un message implique toujours plus que ce qui est contenu dans le signal lui-même ; elle implique une référence à la totalité des possibilités que le récepteur a à sa disposition et parmi lesquelles le signal en question a été choisi. Cet ensemble de possibilités n'est nullement uniforme, il a un profil caractéristique : certaines possibilités sont plus probables que d'autres, et ces variations dans les degrés de probabilité influence le processus de décodage de récepteur. Si le récepteur du message sait que les chiffres y sont plus probables que les mots, il pensera que /ka.../ a plus de chance d'être « quatre » que « catastrophe ». »²⁹

ومفادُ هذا القولِ إنّ نظريةَ الإعلامِ ترى أنّ فهمَ الرسالةِ لا يتطلّبُ أكثرَ ممّا تتضمّنُهُ الإشارةُ فحسبُ، بل يقتضي اللّجوءَ إلى جميعِ الاحتمالاتِ الممكنةِ التي يملكها المتلقّي والتي بناءً عليها سيختارُ الإشارةَ التي يراها مناسبةً. كما إنّ هذهِ الاحتمالاتِ ذاتُ أنماطٍ مختلفةٍ، إذ يكونُ بعضها ممكناً الحدوثُ أكثرَ من غيره. وهذا العاملُ يتحكّمُ في عمليةِ فكِّ الرموزِ التي يقومُ بها متلقّي الرسالةِ؛ فإذا أدركَ هذا الأخيرُ مثلاً أنّ احتمالَ ورودِ الأرقامِ يفوقُ احتمالَ ورودِ الكلماتِ، فإنّه سيفكّرُ مباشرةً في أنّ الصوتَ «k» سيكونُ مؤشراً أقربَ لورودِ لفظةِ « quatre » (أربعة) من ورودِ كلمةِ « catastrophe » (كارثة).

أي إنّ عمليةَ التوقّعِ تتمُّ انطلاقاً من المعلوماتِ التي تُدركها الذاكرةُ النشطةُ وترسلها إلى الذاكرةِ الطويلةِ المدى لتخزّنَ ضمنَ سياقها؛ وبما أنّ الخطابَ يتميزُ بخاصيةِ التكرارِ، فإنّ بعضَ الأصواتِ والكلماتِ المكرّرةِ تقودُ إلى توقّعِ كلماتٍ ومعانٍ وفقَ سياقاتِ ورودها؛ وفي هذهِ الحالةِ تتدخلُ الذاكرةُ النشطةُ مرّةً أخرى لفكِّ رموزِ الكلماتِ المتوقّعةِ. هذا وتساهمُ مهارةُ التوقّعِ في تخفيفِ عملِ الذاكرةِ النشطةِ المتمثّلِ في التحليلِ والفهمِ. ولكي يضمنَ الترجمانُ نسبةً عاليةً من التوقّعِ لابدّ له من التحضيرِ المسبقِ وممارسةِ الترجمةِ الفوريةِ ممارسةً دوّبةً لأنّ المواضيعَ والأفكارَ تتكرّرُ في أكثرِ من خطابٍ وحتّى وإن لم تكن نسخاً طبق الأصلِ فإنّها تتشابهُ.

2.III. الترجمةُ الشفويةُ والذاكرةُ

نقصدُ بالترجمةِ الشفويةِ تلكَ العمليةَ الذهنيةَ التي تتمثّلُ في نقلِ الرسالةِ من اللّغةِ "أ" إلى اللّغةِ "ب"، حيثُ تتجسّدُ مُدخلاتها ومُخرجاتها في شكلِ خطاباتٍ لا نصوصٍ. إذ بعدَ أن يُحصّلَ الترجمانُ معنى الخطابِ خلالَ عمليةِ الإصغاءِ يقومُ بنقله في شكلِ خطابٍ إلى لغةٍ مغايرةٍ. وهذا النقلُ هو ما يسمّى بالترجمةِ الشفويةِ، فهو مرتبطٌ بعمليةٍ ذهنيةٍ ومنتوجٌ لغوي. هذا وقد أطلقَ عدّةُ

باحثين على هذه العملية اسم إعادة التعبير. كما تتّم هذه العملية عبر محطاتٍ متدرّجة ومتراصة؛ فالترجمان يتذكّر أولاً الأفكار التي وردت في الخطاب الذي أصغى إليه، ثمّ ينقلها في ذهنه إلى لغةٍ أخرى وهو ما يُسمّى بالترجمة، وبعد ذلك يجسّدها في شكل خطابٍ عبر عملية الكلام. وهي تتخذ شكل الإنتاج اللغوي الذي قول عنه دانيال جيل ما يلي:

« Language production involves planning, i.e. the selection of syntactic structures and words available from long-term memory, and then execution of the speech plan through speaking, typing or writing manually, or signing. »³⁰

بمعنى أنّ الإنتاج اللغوي عمليةٌ ممنهجةٌ تتمثّل في انتقاءٍ تراكيبيٍّ ومفرداتٍ من الذاكرة الطويلة المدى وتحويلها إلى خطابٍ عبر الكلام أو الرّقن أو الكتابة أو الغناء.

هذا وتُجهّد الذاكرة النشطة في هذه المرحلة عندما يبذلُ الترجمانُ جهدَ التذكّر النشط الذي يتمثّل في استرجاع الأفكار التي أصغى إليها للتو وتذكّر الدلالات المقابلة لهذه الأفكار في لغة الوصل والمتواجدة على مستوى الذاكرة الطويلة المدى (الذاكرة الدلالية) وكذا استراتيجيات ترجمتها، وتقلّ فعالية هذه الذاكرة عندما يكون الترجمان يتكلّم ببطءٍ فيفلتُ من يده حبلُ الإصغاء وتتراكم الشحنات المعرفية في ذاكرته ممّا يجعل أداءه الترجمي يتعطلّ.

يُعتبرُ التذكّر الآني الجهد الأقرب إلى عملية الإصغاء، فهو يرتبط ارتباطاً مباشراً بالأفكار الواردة فيها، ويتمّ في نطاق الذاكرة النشطة، حيثُ يُجبرُ الترجمان على ترجمة أفكارٍ كان قد أصغى إليها وفهمها، وعليه ينبغي أن يستوفي نقلها؛ ولكي يبلغ هذا المسعى عليه أن يمتلك ذاكرةً نشطةً قويةً.

« L'effort de mémoire intervient quand un élément d'information n'est restitué qu'après un délai plus ou moins long

après sa réception, pour des raisons tactiques (l'interprète attend de bien comprendre l'orateur avant de restituer l'information) ou linguistique (l'information véhiculée par le verbe français est restituée par une phrase en allemand). »³¹

بمعنى إنَّ الترجمانَ يبذلُ جهدَ التذكُّرِ عندما يستغرقُ وقتًا طويلاً في ترجمة معلومةٍ سمعها. ويرجعُ ذلكَ إمَّا إلى خيارٍ تكتيكي يتبنَّاهُ الترجمانُ حيثُ ينتظرُ سماعَ معلوماتٍ إضافيةٍ تسمحُ لهُ بتكوينِ صورةٍ واضحةٍ عن الأفكارِ فيكتملُ بذلكَ فهمه لها وإمَّا إلى حتميةٍ لغويةٍ كأن يُترجمُ فعلٌ فرنسي بجملةٍ ألمانيةٍ.

وكَلَّما كانت المعلوماتُ المدركةُ بسيطةً وواضحةً للترجمانِ كُلِّما زادت نسبةُ تذكُّرها؛ أمَّا الجملُ المعقَّدةُ والطويلةُ تثقلُ كاهلَ الذاكرةِ النشطةِ وتضعفُ أدائها ولهذا لا بدَّ لترجمانٍ أن يتخلَّصَ قدرَ المستطاعِ من المعلوماتِ التي يسمعها، وهو ما يتطلبُ منهُ تبنيَ ترجمةٍ فعَّالةٍ وطريقةٍ كلامٍ سريعةٍ. فالترجمةُ هي العمليةُ الذهنيةُ المتمثلةُ في انتقالِ المعنى من لغةٍ إلى لغةٍ أخرى، وهي تتجلى في صنفينِ وهما: الترجمةُ الكتابيةُ والترجمةُ الشفويةُ؛ وفي كليهما تتمُّ بنفسِ الطريقةِ. وفي هذا الصددِ تقولُ لوديرير ما يلي:

« Dans la pratique, les professionnels font une distinction entre la traduction, exercice écrit et interprétation, exercice orale. Pour l'analyse théorique, il semble plus fécond d'effectuer une distinction différente : nous appliquons le terme de *traduction* à l'ensemble des exercices, oraux ou écrits, qui visent à faire passer le contenu d'un texte ou d'un discours dans un autre texte ou discours, quelles que soient les modalités spécifiques de ces opérations ; par contre les opérations que l'on classe habituellement dans la traduction alors qu'elles visent uniquement à établir des correspondances entre deux langues,

nous les appellerons *transcodage* car elles portent plus sur le code que sur le message.³² »

ومعنى هذا القول ما يلي:

"يفصلُ ممتهنو الترجمة - في الميدان - بينَ الترجمةِ كنشاطٍ كتابي والترجمةِ الشفويةِ كنشاطٍ شفوي. بينما من جانبِ التحليلِ النظري، فإنَّ الأمرَ مختلفٌ؛ إذ يُطلقُ اصطلاحُ "الترجمة" على الأنشطةِ الهادفةِ إلى نقلِ فحوى نصٍّ أو خطابٍ ما إلى نصٍّ أو خطابٍ آخر، وهذا سواءً أكانت هذه الأنشطة كتابيةً أم شفويةً؛ في حين أنَّ العملياتِ المعروفةَ غالباً باسمِ الترجمةِ (التحريرية) والتي تهدفُ إلى إيجادِ مقابلاتٍ بينَ اللغاتِ، يُطلقُ عليها اسمُ "المزامنة" لأنها تركزُ على الرّمزِ أكثرَ من الرّسالة."

هذا وتُجهّدُ الذاكرةُ النشطةُ خلالَ هذه العملية؛ إذ يقولُ جيل في هذا

الصددِ ما يلي:

« L'effort de production est l'effort que fait l'interprète pour donner une forme linguistique aux informations à restituer. Cet effort augmente notamment pendant les pauses d'hésitation tactiques qui servent à choisir les structures de la phrase et les mots, et baisse quand il y a automatisme verbale. »³³

ومفادُ هذا القول إنَّ جهدَ التعبيرِ يتمثّلُ في الجهدِ الذهني الذي يبذلهُ المترجمانُ محاولاً إيجادَ صيغةٍ لغويةٍ يعبرُ بها عن المعلوماتِ التي أصغى إليها؛ ويزدادُ هذا الجهدُ عندما يتوقّفُ المترجمانُ أثناءَ عمليةِ التعبيرِ منتقياً تراكيبَ ومفرداتٍ مناسبةً للدلالاتِ التي كوّنها في ذهنه، ويتراجعُ حينَ يكونُ الكلامُ آلياً.

هذا وقد اقترحَ عدّةُ باحثين تقنياتٍ لترجمة، لكنّ ما يهتَمُّنا في هذه الدراسةِ المهارةُ التي تُسهّلُ عملَ الذاكرةِ النشطةِ وفي هذا الصددِ يقترحُ تشرونوف تقنيةَ التقليصِ قائلاً م يلي:

« Speech compression consists in an economy of language to express a given content. Ellipses and elliptical constructions, to name but one means of compression, are found in all languages. As a stylistic device in simultaneous interpreting, compression is made possible by linguistic redundancy in the thematic component of discourse. »³⁴

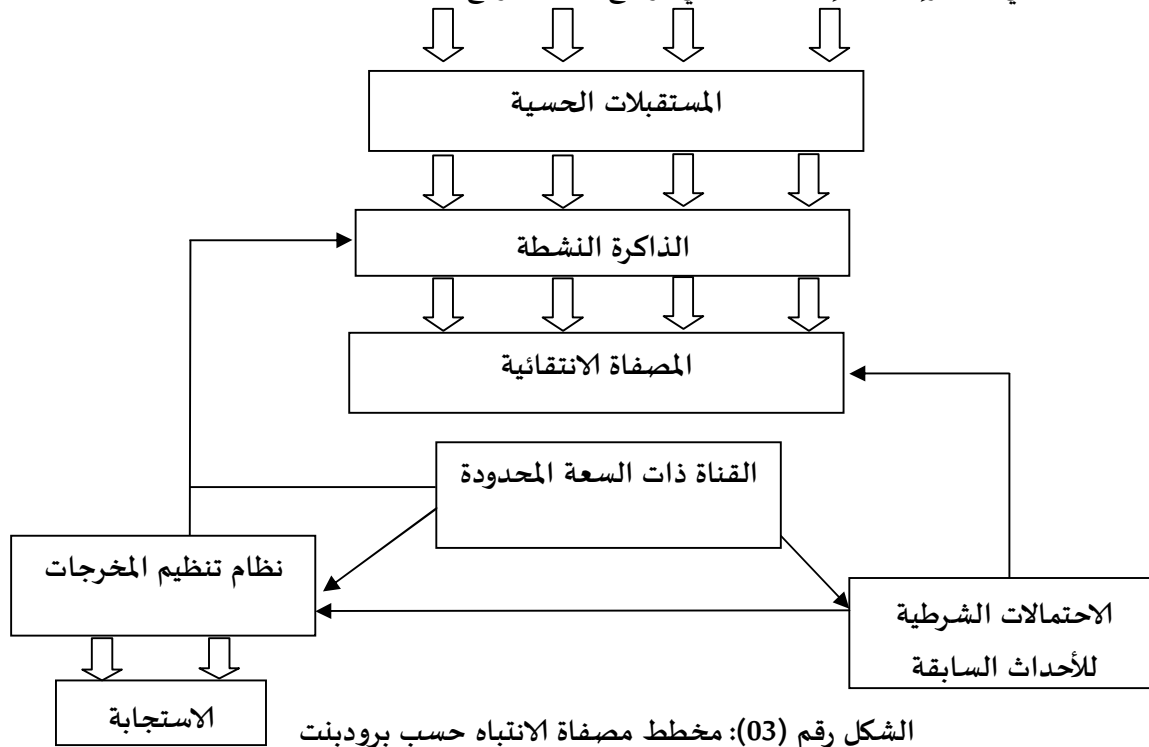
ومفادُ هذا القول إنَّ تقليصَ الكلام يتمثلُ في التعبيرِ عن محتوى ما بلغةٍ مقتصدةٍ؛ وذلك باستعمالِ تقنيةِ الحذفِ مثلاً وهي التقنيةُ التي تنتشرُ في كلِّ اللغات. هذا ويُعتبرُ أسلوبُ التقليصِ ضرورياً للترجمةِ الفوريةِ وممكنًا عندَ تكرارِ عناصرِ التيميةِ في معترضِ الخطابِ.

هذا ويطالُ التقليصُ المقاطعَ الصوتيةَ والمفرداتِ والتراكيبَ والدلالاتِ. وكلّما اقتصدنا في اللغةِ كلّما كانَ تعبيرنا قصيراً ومنه تنتقلُ المعلوماتُ انتقالاً سريعاً من محطةِ الإصغاءِ إلى محطةِ الترجمةِ الشفويةِ وبالتالي يخفُ العبءُ على الذاكرةِ النشطةِ. بيدَ أنَّ هذهِ التقنيةَ قد لا تكونُ ذاتَ أهميّةٍ إذا كانَ الترجمانُ يتحدّثُ ببطءٍ. ولهذا ينبغي للترجمانِ أن يتقنَ مهارةَ الكلامِ السريعِ، لأنّه كلّما كانَ كلامُهُ سريعاً كلّما تركَ المجالَ لذاكرتهِ النشطةِ للتركيزِ على عمليةِ الإصغاءِ.

3.III. المزامنة والذاكرة

تتمثلُ المزامنةُ في الترجمةِ الفوريةِ في أداءِ عمليتي الإصغاءِ والترجمةِ الشفويةِ في آنٍ واحدٍ. هي عمليةٌ تتمُّ في الذاكرةِ النشطةِ. وفي هذهِ العمليةِ تتوزعُ آلياتُ الذاكرةِ على أكثرِ من عمليةٍ جزئيةٍ، حيثُ يقسمُ الترجمانُ انتباهه على الإصغاءِ والترجمةِ الشفويةِ. فقد ابتكرَ برودبنت سنة 1985 نموذجَ مصفاةِ الانتباهِ وبَيَّن أنَّ النظامَ الإدراكيَ يشغلُ وفقَ عدّةِ عملياتٍ معالجةٍ؛ تتمثلُ المحطةُ الأولى في اشتغالِ القنواتِ الحسيةِ في آنٍ واحدٍ؛ والثانيةُ في قناةٍ وحيدةٍ ذاتَ قدرةٍ محدودةٍ ووتيرةٍ بطيئةٍ في معالجةِ المعلومةِ ولا يمكنها التنسيقَ إلّا مع

أكثر من قناة حسية بشكلٍ آني وهو ما يعني تركيز الانتباه على هذه القناة، في حين تبقى المعلومات التي استقبلتها القنوات الحسية الأخرى محتفظةً احتفاظاً مؤقتاً في الذاكرة النشطة. والشكل الآتي يوضح هذا النموذج.



وبعدّه جاء كاهمان سنة 1973م والذي أضاف مفهوم الجهد إلى هذا النظام؛ فهو يرى أنّ نظام الإدراك ينطوي على مصادر انتباه وسعة محدودة في معالجة المعلومة. فإذا استقبل هذا النظام معلوماتين في آنٍ واحد فإنّ موارده لا تسمح بمعالجتهما بنفس الكمية، إذ دائماً ما تُعالج الواحدة على حساب الأخرى؛ فالتّي تتلقّى انتباهاً أكثر تأخذ الأولوية. بيد أنّه إذا توزّع الانتباه على نشاطين، فإنّ هذين النشاطين يُعالجان بكفاءة أدنى من الكفاءة التي يُعالج بها نشاطٌ واحد. "وهو ما يفسّر قدرتنا على إنجاز نشاطين في آنٍ واحد شرطاً ألاّ يتجاوز جهد الانتباه الموزّع على هذين النشاطين سعة خزان الانتباه."³⁵

لقد استلهم دانيال جيل أفكاره ن هذا النظام وطوّر نموذج الجهد الخاص بالترجمة الفورية؛ والذي يتركز على توزيع كمية الانتباه المتوفرة في ذهن المترجمان على جهود الإصغاء والتذكر الآني والإنتاج اللغوي.

« Le modèle proposé repose sur le principe de la concurrence des trois efforts et peut être formulé comme suit : $(P+E+M) < C$.

Enoncé linguistiquement, cette formule signifie que la somme des efforts de production, d'écoute et de mémoire ne peut dépasser un niveau maximum C. En d'autres mots, à tout moment, l'interprète ne dispose que d'une énergie donnée qui est répartie entre l'écoute, la mémoire et la production en état d'EQUILIBRE D'INTERPRETATION. Quand l'un de ces efforts augmente, c'est aux dépens de l'un ou des deux autres efforts. »³⁶

ومفاد هذا القول إنّ النموذج المقترح يعتمد على المنافسة بين ثلاثة جهود وتمثيله الآتي:

س< (إن + إص + تذ). هذه المعادلة تعني أنّه يجب ألا تتجاوز جهود الإنتاج والإصغاء والتذكر مستوى معيّنًا (س)؛ أي أنّ المترجمان لا يتوفّر إلا على كمية معيّنة من الطاقة موزعة على جهود الإنتاج والإصغاء والتذكر (توازن الترجمة)؛ لكن إذا استهلك المترجم طاقة أكبر على جهد من هذه الجهود فإنّ ذلك يتم على حساب أحد الجهدين المتبقيين أو كليهما.

ولكي يستطيع المترجم أن يزامن بين الإصغاء والترجمة الشفوية، لابدّ له أن يتمرن على توزيع الانتباه على أكثر من نشاط فيجعل بذلك العملية آلية. كما تساهم مهارات الإصغاء مثل التنبؤ والتصوّر ومهارات الترجمة الشفوية مثل سرعة الكلام في تسهيل عملية المزامنة بين الإصغاء والترجمة الشفوية؛ إذ لابدّ في هذه الحالة أن تصبح هذه المهارات آلية وذلك عبر التكرار وهذا حتّى يصبح

الانتباه يتوزع آلياً على نشاطي الإصغاء والترجمة الشفوية. بيد أن هذا لا يكفي لأنه مطالب بتسيير الجهد تسييراً واعياً. وفي هذا الصدد يقول جيل ما يأتي:

« L'équilibre entre les trois efforts se détermine en partie en fonction des décisions délibérées de l'interprète, et en partie de manière spontanée, et obéit d'une part à des décisions tactiques, et d'autre part à des forces extérieures, telles que les variations du débit informationnel de l'orateur et les fluctuations de la qualité du son dans les oreilles de l'interprète. Le modèle théorique de l'équilibre d'interprétation admet donc une grande variété de rapports entre les efforts, sans que l'on puisse déterminer des lois précises les régissant. Or à tout moment, l'effort total ET consacré par l'interprète est la somme des trois efforts individuels. $ET = P + E + M$. »³⁷

بمعنى أن جزءاً من التوازن بين الجهود الثلاثة يتحقق تلقائياً وجزءاً آخر عبر قرارات يتخذها المترجم، كما يخضع هذا التوازن إلى خيارات تكتيكية من جهة، ومن جهة أخرى إلى قوى خارجية مثل تغيرات تدفق المعلومات التي يستقبلها المترجم وتدهور جودة الصوت وتحسينها. وعلى كل حال يُبنى نموذج توازن الترجمة الفورية على مجموعة من الروابط بين الجهود. هذا ويساوي الجهد الإجمالي الذي يبذله المترجم مجموع الجهود الثلاثة، وتمثيل صيغته الآتي: $مج = إن + إص + تد$.

الخاتمة

لقد سلط هذا البحث الضوء على العلاقة بين الترجمة الفورية والذاكرة؛ فبعد استعراض خاصية البحث في الترجمة الفورية رأينا أن هذا العلم الحديث يستند إلى نتائج علوم الإدراك التي تأخذ بعين الاعتبار اللسانيات العصبية واللسانيات النفسية على وجه التحديد والتي تعتبر الذاكرة من محاور بحثها؛ ولهذا رحنا نشرح كيفية اشتغال هذه الآلية التي تطوّر مفهومها عبر الزمن

لكنّ الاجماعَ كانَ على المكوّناتِ نفسها؛ إذ تُعتبرُ الذاكرةُ النشطةُ التي كانت تُسمّى قديماً بالذاكرةِ القصيرةِ المدى مسؤولةً عن التخزينِ المؤقتِ للمستقبلاتِ الحسيةِ ومنسّقةً معَ الذاكرةِ الطويلةِ المدى من أجلِ تكوينِ الفهمِ الذي يُعتبرُ الغايةَ الأسى من عمليةِ الإصغاءِ خلالَ الترجمةِ الفوريةِ، وإنتاجِ اللّغةِ أثناءَ مرحلةِ الترجمةِ الشفويةِ؛ ففي المحطّةِ الأولى يتمُّ البحثُ في الذاكرةِ الدلاليةِ عن الدلالاتِ الملائمةِ للمعلوماتِ المصغى إليها (الألفاظ)، وفي المحطّةِ الثانيةِ عن الألفاظِ المقابلةِ لهذهِ الدلالاتِ لكن بالّلغةِ المترجمِ إليها. بيدَ أنّ من خصائصِ الترجمةِ الفوريةِ المزامنةُ بينَ عمليتي الإصغاءِ والترجمةِ الشفويةِ وهو ما من شأنه أن يجهدَ آليّةَ الذاكرةِ لأنّ هذهِ العمليةَ تتطلّبُ توزيعَ الانتباهِ على أكثرِ من جهدٍ فإذا لم يستطعَ الترجمانُ تسييرَ جهودهِ عبرَ العمليتينِ فإنّ الحملولةَ المعرفيةَ المتراكمةَ في الذاكرةِ النشطةِ تندهورُ إذا ما هي تجاوزت طاقتهما وبالتالي ينعكسُ ذلكَ سلبيّاً على أداءِ الترجمةِ الفوريةِ. ولكي يتلافى الترجمانُ كلّ هذهِ المتاعبِ لابدّ لهُ من إتقانِ بعضِ المهاراتِ التي نعدّها في الأسطرِ الآتية:

- التصدُّر من أجلِ مساعدةِ الذاكرةِ في بناءِ الفهم؛
- التنبُّؤ من أجلِ تسهيلِ تسريعِ عمليةِ الفهم؛
- التحضيرُ من أجلِ تسهيلِ عملياتِ الفهمِ والتنبُّؤ والترجمة؛
- سرعةُ الكلامِ من أجلِ التخلّصِ بسرعةٍ من الحملولاتِ المعرفيةِ المتراكمةِ في الذاكرةِ النشطة؛
- التعوّد على إنجازِ مهمّتينِ في آنٍ واحدٍ من أجلِ تسريعِ عمليةِ الانتباهِ الموزّعِ ممّا يساهمُ في تخفيفِ الضغطِ على الذاكرةِ النشطة؛
- المداومةُ على ممارسةِ الترجمةِ الفوريةِ عبرَ عمليةِ التكرارِ من أجلِ جعلِ هذا النشاطِ آليّاً وهو ما يسهّلُ عملَ الذاكرةِ وتسييرَ الجهودِ.

هوامش:

- 1- Daniel Gile, « The contributions of cognitive psychology and psycholinguistics to conference interpreting : A critical analysis », In Ferreira Aline and Schwieter John W, *psycholinguistic and cognitive inquiries into Translation and Interpreting*, John Benjamins Publishing Company, Amsterdam/ Philadelphia, 2015, p.43
- 2- De Oléron, Pierre, et Hubert Nanpon, « Recherches sur traduction simultanée » Journal Psychologie normale et pathologique 62 (1), 1965, p.p. 73-94.
- 3- Gile Daniel, op.cit,
- 4- Gile Daniel, Ibid. p.43
- 5- Goldman-Eisler, Frieda, « Segmentation of Input in Simultaneous Translation », Journal of Psycholinguistic Research 1 (2), 1972, p.p. 127-140. DOI: 10.1007/BF01068102
- 6- Gerver David, « Empirical Studies of Simultaneous Interpretation: A Review and a Model », In *Translation: Applications and Research*, ed. by R. W. Brislin, Gardner Press, New York, 1976, p.p. 165-207
- 7- James.W, *The Principals of Psychology*, Holt, Rinehart and Winston, New York, 1890.
- 8- Hebb. D, *Organisation of Behavior*, Wiley, New York, 1949.
- 9- Peterson. L.R, and Peterson. M.J, « short-term retention of individual verb items », Journal of Experimental Psychology 58, 1959, p.p.193-198
- 10- Atkinson. R.C, Shiffrin, « Human memory: Aproposed system and its control process », In K.W. Spence (ed), *The Psychology of Learning and Motivation: Advances in Research and Theory*, Academic Press, New York, 1968.
- 11- Baddeley. A and Hitch.G, « Working Memory », in G.A.Bower (ed), *The Psychology of Learning and Motivation*, Academic Press, New York, 1974

- 12- Baddeley. A, « Working Memory and Language Processing », In
- 13- Eustache, F et Faure, S., *Manuel de neuropsychologie*. Dunod, Paris, 1996, P. 256.
- 14- Gaonac'h, D et P. Larigauderie, *Mémoire et fonctionnement cognitif : la mémoire de travail*, Armand Colin, Paris, 2000, p.26
- 15- Dehaene, S, *The Cognitive Neuroscience of Consciousness*, MIT Press, Cambridge, 2001, p.09.
- 16- Gile Daniel, « Le modèle d'efforts et l'équilibre d'interprétation en interprétation simultanée », *Meta*, 30 (01), 1985, p.44
- 17- Setton Robin and Dawrant Andrew, *Conference Interpreting a complete course*, John Benjamins Publishing Company, Amsterdam/Philadelphia, 2016, p.83
- 18- Chernov Ghelly V., *Inference and Anticipation in Simultaneous Interpreting : A probability-prediction model*, John Benjamins Publishing Company, Amsterdam/Philadelphia, 2004, p.28
- 19- أبو حامد الغزالي، معيار العلم، تح: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، 1961، ص. 70.
- 20- Seleskovitch Danica et Lederer Marianne, *Interpréter Pour Traduire*, Didier Erudition, Klincksieck, 2001, p.40.
- 21- Lederer, M, *Fondements de la théorie interprétative de la traduction, La traduction au coeur de la communication*, Actes du XIIIe Congrès de la FIT 1, ITI Press, Brighton, Londres, 1993, p. 632-641.
- 22- خديجة حمري، نشاط الحلقة الفونولوجية عند الأطفال المصابين بالصمم المتوسط والأطفال المصابين بالصمم الحاد القريب من المتوسط ما بين 8 و 11 سنة دراسة مقارنة بين أطفال صم وأطفال مستمعين، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأطفونيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم النفس وعلوم التربية والأطفونيا، جامعة الجزائر، 2006، ص. 54

- 23- Gile Daniel, « Le modèle d'efforts et l'équilibre d'interprétation en interprétation simultanée », Meta, 30 (01), 1985, p.44
- 24- Seleskovitch, D. et M. Lederer, *Interpréter pour traduire*, Didier Érudition, Paris, 2001, p.101
- 25- Seleskovitch Danica, *une pédagogie raisonnée de l'interprétation*, Op.cit., p.24
- 26- انظر Mohamed Jamil، مفهوم التصور الذهني وأهميته، مفهوم التصور الذهني وأهميته / <https://ppsy.pro/>، تاريخ الدخول إلى الموقع 12 مارس 2019.
- 27- عبد الله بن خميس امبوسعيدى وسليمان بن محمد البلوشي، طرائق تدريس العلوم: مفاهيم وتطبيقات علمية، ط3، دارالمسيرة، الأردن، 2015، ص.323
- 28- Ghelly V. Chernov, Op.Cit., p.91
- 29- Hans Horman, *Introduction à la psycholinguistique*, Larousse, Paris, 1972, p.78
- 30- Gile Daniel, Basic Concepts and Models for Interpreter and Translator Training, John Benjamins Publishing Company, Amsterdam/Philadelphia, 2009, p.223
- 31- Gile Daniel, « Le modèle d'efforts et l'équilibre d'interprétation en interprétation simultanée », Meta, 30 (01), 1985, p.44
- 32- Seleskovitch.D et Lederer.M, *Interpréter Pour Traduire*, Didier Erudition, France, 2001, p.136.
- 33- Gile Daniel, « Le modèle d'efforts et l'équilibre d'interprétation en interprétation simultanée », Meta, 30 (01), 1985, p.44
- 34- Ghelly V. Chernov, Op.Cit., p.113
- 35- Camus J. F., l'attention, Edition Bréal, p.p.138-206
- 36- Gile Daniel, « Le modèle d'efforts et l'équilibre d'interprétation en interprétation simultanée », Meta, 30 (01), 1985, p.45
- 37- Gile Daniel, « Le modèle d'efforts et l'équilibre d'interprétation en interprétation simultanée », Meta, 30 (01), 1985, p.p.45-46